توظيف الفوضى الخلاقة في المدرك الاستراتيجي الأمريكي بعد عام ٢٠٠٣: الشرق الأوسط مثالاً

Employing Creative Chaos in the American Strategic Perception after 2003 : The Middle East as a Model

الباحث: م. د. محمد محسن زيدان

Inst. Dr. Mohammed Mohsen Zidan

جامعة الإمام جعفر الصادق عليه السلام

Imam Jaafar Al-Sadiq University

xch44rt@gmail.com

الملخص

من مفاهيم الفوضى الخلاقة أنها حالة سياسية أو اجتماعية، تضم فوضى متعمدة الأحداث في مكانٍ وزمنٍ محددين، بقصد الوصول إلى واقع سياسي أو اجتماعي يصبو إليه الطرف الذي أحدث الفوضى؛ أي أنها أقرب إلى مفهوم ما يسمى "الإدارة بالأزمات" ويعني ذلك افتعال الأزمة أولاً، ثم العمل على إدارتها بالتدريج للوصول إلى مصالح معدة مسبقاً، بما في ذلك تفكيك المنظومة المقصودة بطريقة تسهل الدخول إلى مكوناتها الأساسية وعناصرها الصلبة والرخوة، لتقويضها جزئياً أو كلياً وإعادة تشكيلها من جديد بما يخدم تلك المصالح التي تؤتي ثمارها حالاً أو في المدى البعيد. إن موضوع الفوضى الخلاقة والأمور الأخرى ذات الصلة، تتطلب دراسة معمقة والبحث في جزئيات وكليات التوظيف الأمريكي لهذه الفكرة، فقد عملت الإدارة الأمريكية لاسيما بعد أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١، على إحداث تغيير جذري في كيفية تعاملها مع البيئة الإستراتيجية للشرق الأوسط، ويتطلب هذا التغيير من صانعي الإستراتيجية الأمريكية توظيف مفاهيم عديدة وإدخالها في برامج إصلاحية للمنطقة، فالديمقراطية وحقوق الإنسان تمثل إحدى أهم المفاهيم الناعمة والسامية والمقدسة بالنسبة للولايات المتحدة التي عملت الإدارة الأمريكية على توظيفها وإدخالها للشرق الأوسط عبر مشروع الشرق الأوسط الكبير، ومن ثم يمثل توظيف الفوضى الخلاقة أحد أهم المفاهيم التي عمل العقل الأمريكي على زرعها في هذه المنطقة وبلورتها لإنشاء بيئة مجزئة سهلة التعامل والتكوين وإعادة الترتيب بالنسبة للفعل الاستراتيجي الأمريكي، فضلاً عن تحليل أهم ما جاء من تكتيكات وظفت في الحرب على الإرهاب بعد أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١، وكذلك لتبيان أهمية الشرق الأوسط في أبعاده الاستراتيجية

فيما يخص الإدراك الأمريكي المعاصر لهذه البيئة بدلالة مشروع الشرق الأوسط الكبير، مع استعراض بيئة الشرق الأوسط الاستراتيجية وتحليلها وبيان أهم مواصفاتها ومما تتكون، إضافة إلى البحث والتحليل في أهم الأسباب التي أدت إلى تغيير هذه البيئة الاستراتيجية.

الكلمات المفتاحية: الفوضى الخلاقة، الإرهاب، المدرك الاستراتيجي، البيئة، التطبيقات.

Abstract

Creative chaos, in its simplest definition, can be described as a political or social state that includes deliberate chaos in a specific place and time, with the aim of reaching a political or social reality that the party that created the chaos aspires to; that is, it is closer to the concept of what is called "crisis management," which means first creating a crisis, then working to manage it gradually to reach pre-prepared interests, including dismantling the intended system in a way that facilitates access to its basic components and hard and soft elements, to undermine it partially or completely and reshape it anew in a way that serves those interests that bear fruit immediately or in the long term. The issue of creative chaos and other related matters requires in-depth study and research into the details and generalities of the American employment of this idea. The American administration, especially after the events of September 11, 2001, worked to bring about a radical change in how it deals with the strategic environment of the Middle East. This change requires American strategy makers to employ many concepts and introduce them into reform programs for the region. Democracy and human rights represent one of the most important soft, sublime and sacred concepts for the United States, which the American administration worked to employ and introduce into the Middle East through the Greater Middle East Project. Thus, employing creative chaos represents one of the most important concepts that the American mind has worked to plant in this region and crystallize to create a fragmented environment that is easy to deal with, form and rearrange for American strategic action, in addition to analyzing the most important tactics employed in the war on terrorism after the events of September 11, 2001,

And also to demonstrate the importance of the Middle East in its strategic dimensions with regard to the contemporary American perception of this environment in terms of the Greater Middle East Project, with a review of the strategic environment of the Middle East, analyzing it, and stating its most important specifications and what it consists of, in addition to researching and analyzing the most important reasons that led to changing the strategic environment of the Middle East.

Keywords: Creative Chaos, Terrorism, Strategic Perception, Environment, Applications.

المقدمة

الأداء الاستراتيجي للولايات المتحدة هو انعكاس طبيعي لما يدور في دوائر التفكير التابعة للمؤسسات الرسمية وغير الرسمية في الولايات المتحدة الأمريكية، والهدف الرئيس من هذا التلاقح الفكري ما بين الإدارة الأمريكية والجهات غير الرسمية (مفكرين أو مراكز تفكير) هو استيعاب أكبر قدر ممكن من الأفكار وتوظيفها وجعلها آلية من آليات التعامل مع متغيرات البيئة الاستراتيجية، وقدر تعلق الأمر بموضوع توظيف فكرة الفوضى الخلاقة في الاستراتيجية الأمريكية الشاملة بعد أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١ "الشرق الأوسط مثالاً " فإن المتمعن في تفاصيل فكرة الفوضى الخلاقة ومتعلقاتها ودلالاتها الإقليمية وانعكاساتها على البيئة الدولية، سيجد أن هذه الفكرة لم تأتِ عن طريق الصدفة، إنما جاءت لتثبت كل ما سبق من طرح حول تكوين هذه الفكرة نتيجة لتلاقح أفكار على الصعيدين الرسمي وغير الرسمي، وهي أيضاً وجدت خصيصاً لتكون إحدى آليات تحقيق الهدف الاستراتيجي للولايات المتحدة الأمريكية.

فقد تكونت هذه الفكرة بصورتها الحالية بعد تكوين مشروع الشرق الأوسط الكبير لكي تكون إحدى متلازمات هذا المشروع، فالعلاقة ما بين فكرة الفوضى الخلاقة وما بين مشروع الشرق الأوسط الكبير تمثل علاقة طردية موجبة ومتلازمة ذات أبعاد ودلالات تدفع المعنيين بالاستراتيجية الأمريكية للتمعن قليلاً في كيف أن الفوضى الخلاقة جاءت متلازمة مع مشروع الشرق الأوسط الكبير .

أهمية البحث

تكمن أهمية البحث بأن موضوع الفوضى الخلاقة يمثل موضوعاً حساساً وحيوياً لم يتم البحث فيه من قبل بهذه الطريقة، ولا تقتصر أهمية البحث على عرض

البعد المفاهيمي للفوضى والفوضى الخلاقة والمفاهيم الأخرى المقاربة، بل تناول البحث الأبعاد التطبيقية لذلك الموضوع والتمحيص ببعض المصطلحات الأخرى المقاربة منها الثورة بدلالات الفوضى الموظفة أو التغيير الذي يؤدي إلى إنشاء نظام مستقر، على أن يمر بمراحل انتقالية فوضوية تبنى على ركامها أسس النظام الجديد، أو توظيف فكرة الديمقراطية بدلالات التغيير وأبعاده.

إشكالية البحث

يعالج البحث إشكالية مهمة جداً تخص الفوضى الخلاقة في المدرك الاستراتيجي الأمريكي بعد عام ٢٠٠٣ وعلاقتها بالأمن الإقليمي للشرق الأوسط، وأن الفوضى التي تفرزها عملية التحول الديمقراطي في البداية هي (فوضى خلاقة) ربما تنتج في النهاية وضعاً أفضل مما تعيشه منطقة الشرق الأوسط، مما يعني أن الفكر الاستراتيجي الأمريكي بصيغته الراهنة لم يعد لديه اليقين إلا عالم تكون الفوضى فيه سبيلاً لإعادة تشكيله وفق مهمة أمريكا في بناء العالم الجديد، لكن بعد عام ٢٠٠٣ أصبحت ترى أن إحداث إصلاحات ديمقراطية في المنطقة بهدف إصلاحات سياسية في منطقة الشرق الأوسط.

وعليه وانطلاقاً من مشكلة البحث الرئيسة تنبثق الأسئلة الآتية:-

- لماذا لجأت الولايات المتحدة الأمريكية إلى استخدام الفوضى الخلاقة؟
- هل تغيرت الإدارة الأمريكية تجاه إقليم الشرق الأوسط بعد أحداث عام ٢٠٠٣؟
- ما المدرك الأمريكي المعاصر للشرق الأوسط؟
- هل حدث اختلال أمن أو زعزعة استقرار في منطقة الشرق الأوسط بعد الاحتلال الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣؟

فرضية البحث

إن الفوضى الخلاقة ترتبط بعلاقة طردية موجبة مع تحقيق مصالح الولايات المتحدة الأمريكية وأهدافها في الشرق الأوسط، ولذلك جاءت فرضية البحث بالصياغة الآتي: (**حدوث اختلال أمن أو زعزعة استقرار في منطقة الشرق الأوسط بعد الاحتلال الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣**).

مناهج البحث

من أجل ضمان علمية البحث عمد الباحث الى اعتماد المناهج العلمية الضرورية ذات الصلة بالموضوع، فقد استعمل الباحث (المنهج التاريخي) في البحث لتتبع أصول فكرة الفوضى والفوضى الخلاقة في الفكر القديم والوسيط والحديث والمعاصر، ومن ثم استعمل الباحث (المنهج التحليلي) لعرض المفاهيم الرئيسة وذلك لشرح المفاهيم ذات الصلة والعلاقة بمفهوم الفوضى والفوضى الخلاقة، الى جانب عرض أهم مقومات الإستراتيجية الأمريكية وتحليلها بعد أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١، وأيضاً للتعرف على أهم التفاصيل التي كونت هذه الإستراتيجية، وتحليل أهم المتغيرات التي أثرت على صياغتها وتكوينها، وقد اعتمد الباحث على (المنهج الاستشرافي) في محاولة منه لاستشراف مستقبل توظيف فكرة الفوضى الخلاقة إقليمياً وعالمياً.

هيكلية البحث

فضلاً عن المقدمة وتفاصيلها والخاتمة واستنتاجها، تم تقسيم البحث إلى ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التأصيل النظري لفكرة الفوضى الخلاقة. أما المطلب الثاني فقد تناول البيئة الاستراتيجية للشرق الأوسط في الإدراك الاستراتيجي الأمريكي.

والمطلب الثالث تناول توظيف فكرة الفوضى الخلاقة في الاستراتيجية الأمريكية الشاملة ومستقبلها. إضافة إلى قائمة الهوامش والمصادر.

المطلب الأول: التأصيل النظري لفكرة الفوضى الخلاقة

لكي يتمكن الباحث من توضيح أهم الأصول الفكرية للفوضى والفوضى الخلاقة، سيتم البحث في المطلب الأول في مفاهيم الفوضى لغةً واصطلاحاً، إضافة إلى البحث في نظرية الفوضى وعلاقتها بالعلوم الاجتماعية، بعدها ينتقل إلى قضية الأصول الأيديولوجية لفكرة الفوضى الخلاقة في الفكر القديم والوسيط والحديث والمعاصر، ثم يعود ليوضح آلية تكوين هذا المصطلح (الفوضى الخلاقة)، والكيفية التي أنشأ بها، مع توضيح أهم الجهات والأطراف المشاركة في تكوينه.

الفرع الأول: مفهوم الفوضى

١. الفوضى في اللغة

تعني الفوضى في اللغة العربية، البلبلة واختلال النظام (احمد وآخرون، ٢٠٠٨، ص٤٦٩)، وتشتق كلمة فوضى الإنكليزية (Anarchy) من كلمة (أنارخوس) (Anarkhod)اليونانية، ومعناها من دون حاكم وهي تستعمل للدلالة على غياب حكم يحفظ السلام (غيرفيش واوكالاهان، ٢٠٠٨، ص٣٢٤).

ويقال قوم فوضى كسكارى لا رئيس لهم أو متفرقون أو مختلط بعضهم ببعض وأمرهم فوضى بينهم، وقد قال (الافوه الأودي): "على القوم الفوضى الذين لا رئيس لهم (لا يصلح الناس لا سارة لهم، ولا سرى إذا جهالتهم سادوا)"، ونعام فوضى أي مختلط بعضه ببعض، ويقال أيضاً: "أموالهم فوضى بينهم، أي هم شركاء فيها" (الجوهري، ٢٠٠٨، ص٨٢٧).

٢. الفوضى اصطلاحاً

يقال إن كلمة الفوضى ظهرت لأول مرة في العام (٧٠٠ ق.م) لدى الشاعر الإغريقي (هسيود) في قوله: في البدء كانت الفوضى لا شيء سوى الخلاء والفراغ غير المحدود، وقد أشار إلى الفوضى (شكسبير) في (عطيل) في قوله: (إن هذا العالم تشكل بفوضى وسيذهب بفوضى) و(هنري ميللر) في ربيع أسود إذ قال إن لكل منا حياتين يعيشها، فالأولى مع الناس وهي منظمة نسبياً، والأخرى مع الذات وهي فوضوية للغاية، وقد دمجت اللهجة العامية عبر التاريخ فكرة الفوضى في فكرة الفلسفة، وقد عرفت القواميس الفوضى بأنها الاضطراب أو الاهتياج أو اللجة البدائية، وقد عبر المؤرخ والكاتب الأمريكي (هنري أدامز) (١٩١٨-١٨٥٨م) عن المعنى العلمي للفوضى بشكل بليغ في قوله: "ان الفوضى غالبًا ما تولّد الحياة، في حين يولد النظام العادة.**(James, 1987, pp.24-44)** "

الفرع الثاني: الأصول الإيديولوجية لفكرة الفوضى الخلاقة

للفوضى بصفتها المجردة والعامة أصولها الفكرية، إذ سيتم عرض الأصول الفكرية لفكرة الفوضى في هذا المطلب منذ بداياتها في الفكر القديم والوسيط ومن ثم عرض أصول فكرة الفوضى في الفكر الحديث، ومن ثم بعد ذلك سنقوم بالبحث في أصول فكرة الفوضى الخلاقة في الفكر الحديث، ويراعي هذا التقسيم الزمني انه لم يكن هناك مصطلح يدعى بالفوضى الخلاقة في الفكر القديم والوسيط ولا في الفكر الحديث، وإنما ظهر هذا المصطلح في الفكر المعاصر، لذا سوف تكون التقسيمات لهذا المطلب على النحو الآتي:

١. الأصول الإيديولوجية القديمة والوسيطة لفكرة الفوضى

يعد الحديث عن الأصول الفكرية والعقائدية لفكرة الفوضى أمراً في غاية الصعوبة لتفرع المصادر الفكرية التي استلت منها هذه الفكرة والتنوع والاختلاف في الأفكار الفلسفية من مفكر إلى الأخر (**Ward, 2011, pp.2-4**)، إذ قد ورد هذا المصطلح (مصطلح الفوضى وخلق الفوضى أو بمعناه الحديث الفوضى الخلاقة) في كثير من الأدبيات القديمة وعلى لسان الكثير من الفلاسفة والمفكرين القدماء، ومن بين تلك الكتابات هي ما تطرقت إليه الماسونية [*]، عن طريق استلهام الشعار القديم (ordoab chao) الذي يعني أن النظام ينبثق من الفوضى (إسماعيل، ٢٠١١، ص١٧٣).

٢. الأصول الإيديولوجية الحديثة لفكرة الفوضى

تمثل الفوضوية الحديثة أو الفكر الفوضوي الحديث نظرية الحرية المطلقة التي تقوم على أساس رفض سلطة الدولة وأية سلطة قهرية مماثلة، إذ لم تعرف الفوضوية بوصفها مذهباً إلا في القرن التاسع عشر، وقد ظهرت في الوقت نفسه لظهور الاشتراكية وتنازعت معها تنازعاً شديداً (بيرلو وليسكيه، ١٩٨٦، ص ص ٣٤٢-٣٤٩). ويمكن إرجاع التيار الفوضوي في أصوله الإيديولوجية الحديثة إلى ثلاثة تيارات رئيسة هي:

أ. الفوضوية المسيحية: الأديب الروسي ليو توليستوي.

ب. **الفوضوية الفردية**: وليم عودين.

---

[*] **الماسونية** معناها البناؤون الأحرار، وهي منظمة سرية غامضة محكمة التنظيم، تهدف إلى ضمان سيطرة اليهود على العالم وتدعو إلى الإلحاد والإباحية والفساد. للمزيد ينظر: (**مرعي، ٢٠١١، ص١٨**).

ج. **الفوضوية الشيوعية**: بكونين وبوردن وكروبوتكين (توشار، ١٩٨٣: ٥٦٠.(

٣. الأصول الإيديولوجية المعاصرة لفكرة الفوضى الخلاقة

تعود الأصول الفكرية المعاصرة للفوضى الخلاقة الى مجموعة ليست بصغيرة من المفكرين والفلاسفة المتخصصين في العلوم السياسية والعلوم الاجتماعية والفكر السياسي القديم والحديث والمعاصر، إذ ينسب البعض الأصول الفكرية الحديثة للفوضى الخلاقة الى المفكر الأمريكي (صامويل هنتنغتن) وما تناوله في كتابه (صدام الحضارات من أفكار وظفت فيما بعد لصياغة فكرة الفوضى الخلاقة، وتنسب أيضاً الى رؤى وطروحات وأفكار المفكر اليهودي (ناثان شارنسكي) في كتابه المعنون بـ الطريق الى الديمقراطية" الذي يعده جورج وكر بوش بمثابة (الخريطة الجينية) لرئاسته (إسماعيل، ٢٠١١، ص ١٦)، إذ انه ذكر في إحدى خطاباته قائلاً (إذا أردتم الإطلاع على السياسة الخارجية الأمريكية فأقرأوا كتاب شارنسكي فأنه سيساعدكم على فهم الكثير من القرارات التي قد اتخذها مستقبلاً) (وهيب، ٢٠٠٨، ص١٣٣).

الفرع الثالث: تكوين ومعنى مصطلح الفوضى الخلاقة

إن عملية صناعة المصطلحات الإستراتيجية وتكوينها تخصصت بها العقلية الأمريكية المعاصرة لاسيما في مرحلة الحرب الباردة وما تلاها، لذلك يمكننا أن نتلمس هذا النتاج الفكري عبر الكثير من الأمثلة والشواهد على هذه الخاصية التي يتمتع بها الفكر الإستراتيجي الأمريكي المعاصر، إذ دأبت الولايات المتحدة الأمريكية في مرحلة الحرب الباردة وما بعدها على أن تكون آلتها الإعلامية شديدة التأثير لاسيما أن الحرب الباردة كانت تعتمد في جزء كبير منها على الإعلام (**Adamant Media, 2001, P.2**).

١. الإفراد: منظرو الإستراتيجية الأمريكية

صيغ مصطلح الفوضى الخلاقة بعناية تامة وبحرفية وبتفكير عميق ومتسع في الحيثيات والدلالات الإيديولوجية للفكر الاستراتيجي الأمريكي، إذ يعد هذا المصطلح – الفوضى الخلاقة من أهم المصطلحات التي صاغها العقل الأمريكي في القرن الحادي والعشرين، لما له من دلالات وأبعاد تطبيقية – تفكيكية – لمشاريع عملت جميع الإدارات الأمريكية المتعاقبة على تطبيقها وعلى مر السنين الماضية، إذ يعد مصطلح الفوضى الخلاقة هو أحد المصطلحات التي افتتحت بها الولايات المتحدة الأمريكية القرن الحادي والعشرين، وهي تعبير أكثر شمولية من مجرد كونها خطة أمريكية للتفكيك الناعم.

٢. المؤسسات البحثية الأمريكية

لم يكن لصناع القرار والأكاديميين الدور الوحيد في صناعة مصطلح الفوضى الخلاقة وتكوينه وإنما كان هناك دور بارز قامت به المؤسسات البحثية أو ما يسمى ببيوت الفكر أو خزانات الفكر (Think Tanks) التي تعد بمثابة العقل الإضافي للإدارات الأمريكية لما لها من دور كبير في عملية صنع الإستراتيجية الأمريكية تكوين هذا المصطلح بعناية تامة وبرؤى معمقة ونابعة من العقلية الفكرية الأمريكية البرغماتية التي تعد المصلحة الأمريكية فوق كل شيء بغض النظر عن الطريقة أو الوسيلة لتحقيق تلك المصلحة.

٣. في معنى الفوضى الخلاقة

ينبغي الإشارة قبل الولوج في تعريف الفوضى الخلاقة، بأنه لا يوجد معنى اصطلاحي علمي محدد يتفق الباحثون والمتخصصون جميعهم عليه في الشؤون الإستراتيجية، وان جميع من ذكر مصطلح الفوضى الخلاقة لم يذكره بتجريد عن الشرق الأوسط أو المنطقة العربية، وان جميع التعاريف الاصطلاحية التي سوف

تذكر هي اجتهادات من الباحثين أنفسهم، والجميع اجمع على أقران الفوضى الخلاقة بالشرق الأوسط، إذ لا تخلى الأدبيات التي تحدثت عن الفوضى الخلاقة من ذكر عبارة المنطقة العربية والشرق الأوسط، لذا فأن فكرة الفوضى الخلاقة تقوم على فلسفة سياسية تفترض وجود خطر داهم من عدو مجهول يتهدد الأمن القومي الأميركي في كل لحظة، وتقوم على افتراض ألا يكون التهديد بالضرورة، حاصلاً بالفعل من دولة أو من منظمة إرهابية لكي تخاض ضده الحرب الوقائية، وإنما يكفي أن يتم تصوره من جانب مراكز التخطيط الإستراتيجي في البيت الأبيض والبنتاغون للمبادرة إلى تلك الحرب (حيدر، ٢٠٠٥، نت).

وهناك جانب أساس في هذا المصطلح وهو الاستعمال الواعي والمخطط والمنظم لمجموعة من الأدوات السياسية والعسكرية والإعلامية والاقتصادية... الخ .

المطلب الثاني: البيئة الإستراتيجية للشرق الأوسط في الإدراك الاستراتيجي الأمريكي

بعد البحث في الإستراتيجية الأمريكية على نطاقها الشامل، خصص المطلب الثاني للبحث في منطقة مهمة وحيوية جداً في الإدراك الإستراتيجي الأمريكي وهي منطقة الشرق الأوسط، وذلك لما تحمله من صفات جغرافية واقتصادية وإبعاد عسكرية واجتماعية وثقافية، يمكن توظيفها استراتيجياً لتحقيق أهداف واسعة، إذ كانت ولا تزال هذه المنطقة محط صراع القوى العظمى والكبرى لما تمتلكه من مقومات تدفع جميع القوى التي ترغب في إبقاء مكانتها الدولية أن تعمل على إيجاد موطئ قدم لها في هذه المنطقة بعد أن خضعت هذه المنطقة لمختلف القوى، وما صاحبها على مر القرون من تغيير جغرافي على نطاق ترسيم الحدود أو تغيير ديمغرافية المنطقة فيما يتعلق بانتقال السكان من مكان لآخر، وأيضاً ما صاحبها من

حروب ونزاعات وأزمات كانت وما تزال تشكل السبب الرئيس في تواجد الدول العظمى والكبيرة فيها بوصفه طرف يحاول أن يراعي مصالحه في هذه المنطقة.

الفرع الأول: المدرك الأمريكي المعاصر للشرق الأوسط (بدلالة مشروع الشرق الأوسط الكبير)

إن البحث في موضوع معقد ومتشابك مفاهيمياً بصورة كبيرة ومنه موضوع الشرق الأوسط، يلزم الباحث الرجوع الى أصول تسمية هذا المصطلح والبحث فيها وتوضيحها، وجعلها بمثابة توطئة للبحث في البعد المعاصر للشرق الأوسط ومكانته في الإدراك الأمريكي، لذا سيتم البحث في هذا الفرع عن أصول تسمية الشرق الأوسط وكيفية انبثاق فكرة التسمية ومصدرها، ومن ثم الوصول الى تعريفها وتوضح معالمها الجغرافية والسياسية وتبيان أهم مواصفات وحدود هذه المنطقة، وما تشمله وتحتويه من دول كانت معظمها ولا تزال جزءً من الشرق الأوسط والشرق الأوسط الكبير، وأيضاً توضيح أهم الدلالات الإدراكية لهذه المنطقة (منطقة الشرق الأوسط) في الإستراتيجية الأمريكية ولاسيما في بعدها المعاصر .

١. التعريف بالشرق الأوسط الكبير

يتحتم لدراسة الشرق الأوسط الكبير والاطلاع عليه، التعرف على مصطلح الشرق الأوسط بمفهومه التقليدي على النطاق السياسي والجغرافي، وهذا الأمر يمهد للدخول في توضيح ما هو مقصود من مصطلح مشروع الشرق الأوسط الكبير وتفاصيله الأخرى بدلالات التغيير والتفكيك وإعادة الترتيب.

٢. التعريف بالشرق الأوسط:

أ. على النطاق الجغرافي:

على الرغم من انتشار مصطلح الشرق الأوسط في القاموس السياسي، إلا أن الإطار الجغرافي – السياسي لهذا المصطلح لا يبدو جلياً ومختلفاً عليه عند اغلب الباحثين، لكن يكاد تجمع الغالبية العظمى من الباحثين أن أصل تسمية الشرق الأوسط أتت من خارج هذه المنطقة، إذ يعد هذا المصطلح من المصطلحات المتداولة كثيراً والذي يشير إلى المنطقة العربية فضلاً عن تركيا وإيران (أحمد، ١٩٧٨، ص ص ٩ – ١٣).

ويبدو هذا التعبير سياسياً أكثر من كونه جغرافياً، كما ظهر في أثناء الحرب العالمية الثانية، فهو عرضة للتغيير المستمر، ففي بعض الأدبيات تضم مصر إلى دول جنوب غرب آسيا المشكلة لمنطقة الشرق الأوسط (شايق، ٢٠٠٩، ص ١٧).

وفي أدبيات أخرى تضاف ليبيا إليه، وفي أحيان أخرى تضاف أفغانستان وباكستان وشمال غرب الهند.

ب. على النطاق السياسي:

تشير الدراسات السياسية والتاريخية بأن مصطلح الشرق الأوسط، تم تداوله لأول مرة عام ١٩٠٢ من المؤرخ والمفكر الاستراتيجي الأمريكي الفريد ماهان، في مقالة له نشرت في المجلة اللندنية الفصلية National Review بعنوان: الخليج الفارسي والعلاقات الدولية ولم يذكر الكاتب البلاد التي يشملها. هذا الاسم، ثم استعمال هذا المصطلح من تشرشل وزير المستعمرات البريطاني عندما انشأ إدارة الشرق الأوسط عام ١٩٢١ لتشرف على شؤون فلسطين والأردن والعراق، وزاد استعماله بعد الحرب العالمية الثانية لإنشاء مركز قيادة الشرق الأوسط وتموينه للحلفاء (عبد الغني ٢٠٠٧، ص ص ٢٧٢ – ٢٧٣).

٣. التعريف بمشروع الشرق الأوسط الكبير

قدّم الرئيس الأميركي جورج بوش الابن مشروع الشرق الأوسط الكبير، في شهر شباط ٢٠٠٤، أي بعد عام تقريباً من احتلال العراق، في قمة مجموعة الثماني، وبعد سلسلة مبادرات ومواقف كانت الإدارة الأميركية قد قدمتها بعد هجمات ١١ أيلول (٢٠٠١) (كيالي، ٢٠٠٧، ص١١)، إذ انعقدت في شهر حزيران عام ٢٠٠٤ أربعة قمم للدول الثمانية لبحث قضية واحدة ومناقشتها وهي: الشرق الأوسط الكبير، فالتقى الأمريكيون بحلفائهم الأوربيون في مقاطعة (نورماندي) أولاً، ثم (سي لاند) ثانياً، ثم في إيرلندا وإسطنبول ثالثاً ورابعاً (الأوندي، ٢٠٠٥، ص ١٥)، لتعطي الولايات المتحدة طابعاً دولية على المشروع (كيالي، ٢٠٠٤، ص ٥٢).

ومن ثم توالت التصريحات والعبارات التي كانت بمثابة إعلان رسمي لبداية عصر جديد للإستراتيجية الأمريكية في الشرق الأوسط.

الفرع الثاني: الأهداف الإستراتيجية لمشروع الشرق الأوسط الكبير

من أهم النقاط التي يمكن تثبيتها وملاحظتها حول أهم الأهداف الإستراتيجية لمشروع الشرق الأوسط الكبير، هو عملية تكوين نظام إقليمي جديد يدمج الكيان غير الطبيعي (الإسرائيلي)، ويجعله جسم أو كتلة طبيعية تؤثر وتتأثر وتتفاعل مع المحيط العربي وغير العربي في المنطقة (كيالي، ١٩٩٨، ص ٧).

ومن منطلق أن العرب جربوا لمدة طويلة القيادة المصرية للمنطقة، فليجربوا الآن القيادة (الإسرائيلية) لها (**Rabinovich & Jehuda 2008, pp. 270-273**)، على هذا يمكن ملاحظة ذلك بوساطة توسيع رقعة الشرق الأوسط المطاطية التي لا تعرف حدود ثابتة (**Yaphe, 2002, pp. 107-109**).

١. الأهداف المعلنة من مشروع الشرق الأوسط الكبير

من الطبيعي لأي مخطط أن يحتوي على أهداف إستراتيجية مطلوب تحقيقها في جملة من القطاعات أو المجالات الإستراتيجية، وقدر نعلق الأمر بمشروع الشرق الأوسط الكبير فإن أهدافه المعلنة تتمحور حول جملة من النقاط، سنحاول عرضها عبر تقسيمها إلى أهداف سياسية واقتصادية وعسكرية واجتماعية وثقافية، وتجدر الإشارة الى انه لم يذكر نص المشروع الأصلي فيما يتعلق بالأهداف العسكرية أي توضيح، لكن التحركات على أرض الواقع تشير الى عكس ذلك عبر قراءة الباحث واستنباطه لأبعاد هذا المشروع الاستراتيجي الإقليمي ذو الدلالات العالمية.

أ. الأهداف السياسية لمشروع الشرق الأوسط الكبير

إن أهم الأهداف المعلنة للولايات المتحدة جراء تطبيق مشروع الشرق الأوسط الكبير في المنطقة، هو مكافحة الجماعات المتطرفة عبر إعلان الحرب على الإرهاب المستشري والمنتشر في المنطقة بسبب التخلف الواضح في مفاصل الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتعليم والصحة، إذ ترى الولايات المتحدة وحلفائها الغربيين إن الأنظمة التي تتصف بغياب الديمقراطية والحريات الشخصية والخيار السياسي والشفافية في إدارتها للحكم، وعدم توفر الفرص الاقتصادية، والفقر الشديد لدى الأكثرية، والقمع والاستبداد والفساد، وتزايد العنف والجريمة والحروب والنزاعات والأمراض النفسية والأزمات الاجتماعية (**Dalacoura, 2011, p.p. 2-4**).

ب. الأهداف الاقتصادية لمشروع الشرق الأوسط الكبير

فيما يخص الشق الاقتصادي من مشروع الشرق الأوسط الكبير، فإن الولايات المتحدة أعلنت إنها تهدف من هذا المشروع خلق بيئة اقتصادية استثمارية حرة، تقوم

على أساس توظيف الموارد الموجودة في المنطقة كافة أجنبياً ومحلياً، عبر ربط شعوب المنطقة بالتجارة والمال والأعمال والتبادل المشترك (احمد ومحمود وآخرون، ٢٠٠٦، ص ١٥٨)، وفتح الأسواق التجارية الإقليمية وربطها عالمياً، عبر دعم الاقتصاديات الناشئة، عن طريق القروض التي تقدمها البنوك التي افتتحت خصيصاً لغرض دعم العملية الاقتصادية وجعلها منفتحة مع جميع دول المنطقة ومن بينها (إسرائيل) (صالح، ٢٠٠٥، ص ص١٩٢- ١٩٣)، وتوفير البيئة الاقتصادية المناسبة للمستثمرين عبر تحديث الخدمات المصرفية وإزالة الحواجز الكمركية، وإقامة مناطق في إقليم الشرق الأوسط الكبير يكون دورها مخصصاً لتشجيع التعاون الإقليمي على تصنيع المنتجات وتصميمها وتسويقها، عبر مبادرة منبر الفرص الاقتصادية في الشرق الأوسط الكبير، الذي يحظى بدعم دول الثماني الكبار(سعيد، ٢٠٠٦، ص ص١٩٩- ٢٠١).

ج. الأهداف العسكرية لمشروع الشرق الأوسط الكبير

فيما يخص الأهداف العسكرية لمشروع الشرق الأوسط الكبير، فإن من أولى أولويات هذا المشروع هو إيجاد منطقة معزولة وخالية من أسلحة الدمار الشامل، لاسيما وأن دول المنطقة تعد من أكثر الدول في العالم استهلاكاً للأسلحة وذلك لكثرة النزاعات والأزمات التي تكاد أن تكون مزمنة، لأنه اذا ما وصلت أسلحة الدمار الشامل (حسب وجهة النظر الغربية) لأيدي مجموعات متطرفة، يمكن أن تقوم بعمل إرهابي يهدد أمن العالم وسلامته اجمع، لذا فإن من أولويات هذا المشروع، نزع أسلحة الدمار الشامل من كل الدول التي من المحتمل أنها لا تستطيع الحفاظ عليه، واقتصارها على البرامج النووية السلمية تحت إشراف الوكالة الدولية للطاقة الذرية، وعلى الرغم من أن المشروع لم يذكر صراحة هذه الفقرة لكن الأفعال التي التمست على ارض الواقع تشير الى ذلك، وهذا الأمر لا يخلو من استثناءات (حصرية) (مثل إسرائيل) الحليف التقليدي للولايات

المتحدة، على الرغم من عدم إعلانها (إسرائيل) بأنها تمتلك السلاح النووي بشكل رسمي (فؤاد وسالم، د. ت، ص١٠٩).

د. الأهداف الاجتماعية والثقافية لمشروع الشرق الأوسط الكبير

فيما يتعلق بالأهداف الاجتماعية والثقافية الأخرى فإن الولايات المتحدة تحاول بوساطة هذا المشروع المتكامل ربط المنطقة بعجلة الحداثة والتطور الغربي عبر خلق حلفاء من داخل المنطقة نفسها لإعادة تشكيل الإطار المعرفي للعقل العربي وفرض مفاهيم جديدة (جلال، ٢٠٠٥، ص ٨٠).

الأمر الذي يحتاج الى جانب جميع المبادرات على المستوى الاقتصادي والسياسي الى تكوين مبادرات على النطاق الاجتماعي والثقافي، بوساطة برامج تدريب المرأة وتطوير برامج التعليم عن بعد وبرامج الزمالات الدراسية في الولايات المتحدة والتركيز على خلق طبقة مثقفة شابة في عقد واحد.(**Korany, 2010, p 137**)

الفرع الثالث: طبيعة البيئة العسكرية_ الأمنية

تشير التقارير التابعة للمنظمات الدولية وغير الدولية الى إن منطقة الشرق الأوسط تعد من اكثر مناطق العالم استيراداً للسلاح، وذلك بسبب بيئتها الأمنية غير المستقرة، إذ تكاد تكون البيئة الأمنية في منطقة الشرق الأوسط مصابة بأزمات مزمنة تهدد دوماً استقرار هذه المنطقة وأمنها تجعلها من أكثر مناطق العالم اضطراباً (أحمد وجويلي وآخرون، ٢٠٠٦، ص ٨٠).

١. ظاهرة عدم الاستقرار الأمني في الشرق الأوسط

تكاد تكون ظاهرة عدم الاستقرار في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا حالة شبه دائمة، لاسيما بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، فالمنطقة بمجملها العام تضم نسب كبيرة من مخزونات الطاقة العالمية، وهذا الأمر زاد من حدة التنافس الدولي عليها،

من ثم فأن زيادة العنف وعدم الاستقرار الأمني الحاصل هو انعكاس لذلك التنافس الدولي للحصول على اكبر قدر من الموارد غير المستغلة، وهذا يعني أن عدم الاستقرار العسكري أو الأمني في بيئة الشرق الأوسط الإستراتيجية يعد امتداداً للتحولات في النظام السياسي الدولي (منظمة اليونسكو، ١٩٩٣، ص٣٠٨).

إذ أن كل تغيير يصيب النظام الدولي حتى وان لم يغير من طبيعته ومعالمه رسمياً، إلا أن هذا الأمر _والفوضى التي يخلفها_ يؤثر عكسياً على منطقة الشرق الأوسط وبالذات انعكاسات التوازنات العالمية على امن المنطقة واستقرارها(غليون وعبد الحي وآخرون، ٢٠٠٥، ص ص٤٨_ ٥٥).

ففي مرحلة الحرب الباردة كان الشرق الأوسط مشتعلاً بنيران حروب لا يمكن عدها وشرحها هنا، وأبرزها الحرب العراقية الإيرانية التي تمثل انعكاساً للصراع الدولي حينه بين الاتحاد السوفيتي السابق والولايات المتحدة التي كانت ربما تنتقل الى باقي الدول العربية وتؤثر على أمنها الإقليمي، ومن ثم تفكك الاتحاد السوفيتي، فخرج العالم بنظام دولي جديد أهم مؤشراته توظيف مجلس الأمن لتشكيل تحالف دولي ضد العراق وقيادة الحرب لإخراج القوات العراقية من الكويت عام ١٩٩١، مما يعني ويؤكد هيمنة الولايات المتحدة على النظام الدولي (أبو غزالة، ٢٠٠٤، ص ص١٤٣-١٤٤).

٢. معدلات الإنفاق العسكري واستهلاك الأسلحة في الشرق الأوسط

في شهر نيسان ٢٠١١ أصدر معهد ستوكهولم الدولي لأبحاث السلام (SIPRI) تقريراً شاملاً له حول الإنفاق العسكري العالمي في العام ٢٠١٠ أظهر فيه ارتفاع الإنفاق العسكري في منطقة الشرق الأوسط من ٢،٧٨ مليار دولار في العام ٢٠٠١ إلى ١١١ مليار دولار في العام ٢٠١٠، وقد بلغت الزيادة في الإنفاق العسكري في المدة بين ٢٠٠١ – ٢٠١٠ ما نسبته ٣٥٪ (تقرير معهد ستوكهولم الدولي، ٢٠١١، نت).

٤. طبيعة الجيوش (الدور السياسي للجيوش) في دول الشرق الأوسط

بعد عرض أبرز الأرقام حول الإنفاق العسكري في منطقة الشرق الأوسط، وما تشكله هذه المنطقة من أهمية إستراتيجية عبر مواردها، فإن المؤسسات الأمنية في دول منطقة الشرق الأوسط لها دوران أساسيان: الأول هو تحقيق التوازن أو التفوق العسكري مع دول المحيط الإقليمي، لكي تقدر على لعب دور بارز وتحقق مصالحها عبر هذه الأداة الرادعة، والثاني هو إيقاف وإخماد أي حراك داخلي (داخل الدول نفسها) ويقمع كل من يحاول أن ينقلب أو يتآمر على النظام القائم (فوزان، ٢٠٠٧، ص ٢٩٤).

وفي بعض الأحيان تمتد عمليات القمع الى دول أخرى بحجة تثبيت الأمن (مثل التواجد العسكري السابق للجيش السوري في لبنان والتدخل السعودي العسكري في اليمن والبحرين)، فالجيش في دول الشرق الأوسط التي تصنف من ضمن دول العالم الثالث هي جيوش سلطة اكثر من أنها جيوش وطنية، فهذه الجيوش تخضع لتجاذبات سياسية وتسير من قبل القائمين والماسكين بالحكم (**Marten W. Kollmch & Fcson, 2012, pp. 407-408**)، فقليلاً ما يلحظ وجود جيش مهني يعمل ويقوم بواجباته الأساسية وهي حماية الدولة من أي تدخل خارجي والدفاع عنها، والأمثلة كثيرة على دور الجيش السياسي في دول الشرق الأوسط (النبوي، ٢٠٠٤، ص ١١٧).

المطلب الثالث: توظيف فكرة الفوضى الخلاقة في الإستراتيجية الأمريكية الشاملة ومستقبلها

تعد فكرة الفوضى الخلاقة من الأفكار التي تم توظيفها في منطقة الشرق الأوسط كغيرها من الأفكار الأخرى ومنها الديمقراطية وحقوق الإنسان على المستوى الواسع في الشرق الأوسط أو على المستوى الضيق وتحديداً في العراق، بعد

احتلاله من قبل القوات الأمريكية عام ٢٠٠٣، فقد تم اعتماد هذا التكتيك الاستراتيجي على المستوى الواسع لأغراض عديدة أهمها استكمال مشروع الشرق الأوسط الكبير وفق آليات غير عسكرية تعمل على تقسيم وتجزئة المنطقة.

الفرع الأول: آليات تطبيق الفوضى الخلاقة

لكي تطبق الولايات المتحدة مشروعها الكوني في العالم ولكي تحقق النجاح عبر قوتها في الوصول إلى أهدافها الإستراتيجية، كان عليها أن تنوع أدواتها وتستحدث تكتيكات جديدة توظف كل ما يمكن توظيفه من طاقات وموارد وتكنولوجيا ودبلوماسية وطاقات بشرية وثقافية وعلمية، للوصول الى الغايات المرجوة، لذا عملت الولايات المتحدة على تطوير مفهوم القوة بمعناها الضيق، لاسيما بعد انتهاء الحرب الباردة، واشتقت أو استحدثت من هذا المفهوم الضيق للقوة الصلبة أنواع جديدة للقوة أسمتها بالقوة الناعمة والقوة الذكية (ناي، ٢٠٠٧، ص ٥٣)، التي استعملتها الولايات المتحدة بوصفها أداة لمشروعها الكوني الذي تبحث بوساطتها على إبقاء الهيمنة الأمريكية على العالم (الغثبر، ٢٠٠٩، ص ٢٤).

بناء على ذلك ظهر مفهوم للقوة واسع يشمل أدوات عسكرية وغير عسكرية (مدنية) وسلمية توظفها الولايات المتحدة وتستعملها في تحقيق أهدافها الإستراتيجية وخير مثال على توظيف التكنولوجيا الرقمية هو حالة التغيير العربي مطلع العام ٢٠١١ إذ يصنفه بعضهم بمثابة ثمرة فتوحات العولمة، فالتحركات الشعبية استخدمت أدوات العولمة (الإنترنت والواقع الافتراضي) (رشدي وإسماعيل، ٢٠١٢، ص ص ٩٢-٩٥).

تلك الأدوات التي جعلت الإنسان يغير من نظرته لنفسه ولمفردات وجوده من هوية ثقافية، أو معرفة أو سلطة، وأتت بمثابة فرصة وجودية للخروج من التخلف الحضاري العالمي والمشاركة الإيجابية، وقد أحسن الجيل الشاب في استثمار الثورة

الرقمية وترجمة المنظمات الافتراضية على أرض الواقع في تسونامي سياسي، متغلباً على الأنظمة المستبدة، والمنظومات الإيديولوجية بحسب حرب، وفي هذا الوقت تحديداً يلحظ الباحث اكتمال تطبيقات نماذج القوة بمعناها الواسع، لذلك سيكون هذا المبحث مخصصاً لشرح نماذج تغيير الأنظمة بعد أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١، باستعمال القوة بمعناها الصلب والناعم والذكي (رشدي وإسماعيل، ٢٠١٢، ص ص ٩٢-٩٥).

١. مدخل نحو القوة الصلبة

إن القوة الصلبة تعني استعمال للقوة العسكرية والأمنية في الفعل المباشر من دولة ضد دولة أخرى ومن جيش ضد آخر، وفي ذلك وكما يقول (كلاوزفيتز) (إن الحرب هي امتداد للسياسة بوسائل الإكراه والقتل والتدمير) (بن نبي، ٢٠٠٢، ص ١٣٠)، وإن السياسة الخارجية هي امتداد للسياسة الداخلية، ومن ثم فإن القوة الصلبة تشمل كل ما هو عسكري وحربي وأمني، الذي تقوم الدولة باستعماله لتحقيق أهدافها وغاياتها عبر المواجهة العسكرية المباشرة مع خصومها (السلوم، ٢٠٠١، ص ١١٤).

ويشير باحثون إلى أن القوة الصلبة تعني القوة المشتركة بين الإمكانيات العسكرية والاقتصادية، أي القوة في صورتها الخشنة التي تعني الحرب، التي تستعمل فيها الجيوش، وهذه القوة تعني الدخول في مزالق خطرة، ونتائجها تكون في منتهى الخطورة على الدولة ذاتها.

٢. مدخل نحو القوة الناعمة:

يشير بعض الباحثين في مجال الإستراتيجية الأمريكية، إلى أن تبني تكتيك القوة الناعمة أو المدنية جاء نتيجة للإفراط الأمريكي في تبني الحلول العسكرية، الأمر

الذي شوه مكانة الولايات المتحدة الأمريكية عالمياً، وأدى الى عدم تقبلها شعبيا بوصفها قوة تعتمد الخيارات العسكرية في حل قضاياها مع الدول الأخرى، وهي أيضاً سبباً في تشريد شعوب دول كثيرة وقتلها وتمزيقها، وفي هذا الصدد يقول جوزيف ص ناي أنه قبل أربعة قرون نصبح نيقولا ميكافيلي الأمراء في إيطاليا بأن يكون المرء مخوفاً أهم من كونه محبوباً.

٣. مدخل نحو القوة الذكية

يرتبط مفهوم القوة، من غيره من المفاهيم في مجال العلوم الاجتماعية والعسكرية، فالتطور في السياسة الدولية، سواء على المستوي الإقليمي أو الدولي، لابد أن يقود إلى تغيير في معنى القوة وأشكالها والعناصر المكونة لها، ويمكن القول إن مضمون القوة وعناصرها، في مرحلة تاريخية يتحديان بطبيعة المصادر الفعلية والمحتملة لتهديد الأمن (أبو ليلة، نت)

الفرع الثاني: نماذج تطبيق الفوضى الخلاقة

١. التغيير بالقوة الصلبة (العراق مثالاً)

اعتمدت الولايات المتحدة في حربها العالمية على ما تسميه بالإرهاب أساليب عديدة لمكافحته وإيقاف خطره وتحجيمه وتقليص نفوذه، فتغيير الأنظمة الاستبدادية واستبدالها هو هدف استراتيجي أمريكي تسعى الولايات المتحدة الى تعميمه في منطقة الشرق الأوسط، لاسيما وهو يدخل ضمن أساليب تقليل الدعم الذي تقدمه هذه الأنظمة للتنظيمات والجماعات الإرهابية (من وجهة نظر الولايات المتحدة) (ارنوف، ٢٠٠٦، ص ص ٧١ _ ٧٢).

ولأن لكل دولة خصوصيتها وميزاتها الذاتية، فإن أدوات التغيير الإستراتيجية أمام الولايات المتحدة ليست واحدة لكل الحالات (سفياني، ٢٠١٠، ص ٨٣). فعلى سبيل المثال

تغيير النظام العراقي بالقوة الصلبة العسكرية المباشرة، يعد مثالاً واضحاً لتفرعات القوة الأمريكية بمعناها الشامل الصلب الناعم، الذكي، فقد دخلت الولايات المتحدة حربها ضد الإرهاب في منطقة الشرق الأوسط بتدخلات عسكرية مباشرة لتغيير الأنظمة الحاكمة فبدأت بأفغانستان _التي تحسب من ضمن الشرق الأوسط في بعض الأدبيات_ الأمريكية ومن ثم انتقلت الى العراق، وقدر تعلق الأمر بالتدخل العسكري في العراق، فقد بدأت الحملة العسكرية على العراق منذ عام ١٩٩١ أقوى حرب خاضها تحالف دولي بتحشيد أكثر من ٣٣ دولة بقيادة أميركا إثر غزو النظام العراقي للكويت عام ١٩٩٠. دامت الحرب أربعين يوماً أدت إلى تدمير القدرات العسكرية والاقتصادية للعراق وإخراج القوات العراقية من الكويت، وفرض حصار قاسٍ على البلاد سبب مأساة إنسانية كبيرة دامت سنوات انتهى بالغزو في ١٩ آذار ٢٠٠٣ (موسوعة الجزيرة، ٢٠١٦)

واستطاعت الولايات المتحدة الدخول إلى العاصمة العراقية بغداد وإسقاط نظام الحكم آنذاك، ومن ثم تحقق الهدف التكتيكي الأول من خطة احتلال العراق وهي هدم أو إسقاط النظام القديم وبناء أو إنشاء نظام حديث تحت إشراف الولايات المتحدة الأمريكية ورعايتها، وتدخل عملية تغيير النظام العراقي باستعمال القوة الصلبة بوصفها خطوة أولى لغرض بدء عملية التغيير الشامل في الشرق الأوسط (كندي، ٢٠٠٨، ص ١٨١).

٢. التغيير بالقوة الناعمة (مصر مثالاً)

بعد أن طورت الولايات المتحدة الأمريكية إستراتيجيتها لاسيما بعد انتهاء الحرب الباردة وما تضمنتها هذه الإستراتيجية من إضافات نوعية لما يسمى بطروحات القوة الناعمة التي توظف كل ما يمكن توظيفه من الأمور غير العسكرية المدنية والدبلوماسية والثقافية والاجتماعية والفكرية التي من الممكن أن

تساعد في نشر القيم الأمريكية وتعميمها حول العالم، والغرض إضفاء صفة التكاملية على الإستراتيجية الأمريكية (**Nye, 2011, PP. 82-90**).

تم استحداث وتطبيق هذا التكتيك الاستراتيجي الأمريكي، على الرغم من حداثته نسبياً مقارنة بباقي التكتيكات الإستراتيجية الأمريكية، التي أضافت لها فاعلية في بعدها العملي والتطبيقي وقدر تعلق الأمر بأساليب عمل القوة الناعمة وتوظيف أدواتها لإجراء تغييرات على البيئة الإستراتيجية الشرق أوسطية، تعد حالة تغيير النظام المصري مطلع العام ٢٠١١ من أفضل النماذج وأنضجها التي يمكن دراستها ودراسة تطبيقات القوة الناعمة عليها (**Nye, 2011, P.99**).

٣. التغيير بالقوة الذكية (ليبيا مثالاً)

من الطبيعي أن تنتهج الإدارة الأمريكية في أسلوب تعاملها مع القضايا الدولية طرائق مختلفة ومتعددة ومتنوعة ومتلونة التي تنطلق من فكرة الانتهازية الذكية التي تعني تغيير المواقف بحسب تطور الحالة مع عدم حسم موقفها مع أي جهة ضد الأخرى، إلى حين تأكدها بانتصار هذه الجهة، وهذا ما حدث فعلا في كيفية تعامل الإدارة الأمريكية مع حالة التغيير في الشرق الأوسط، إذ تختلف هذه الأساليب والطرائق بحسب أهمية الحالة والقضية والهدف الاستراتيجي الذي تريد تحقيقه كل من الولايات المتحدة بصورة منفردة أو مع حلفائها الإستراتيجيين، فالأحداث في ليبيا وما شهدتها من تطور ملحوظ وخطير دفعت الإدارة الأمريكية وحلفائها للدفع باتجاه استصدار قرارات دولية عبر مجلس الأمن بضرورة التدخل المباشر في ليبيا لأسباب كثيرة معلنة وغير معلنة أهمها (النفط الليبي)، وإسقاط النظام الذي يقتل وينتهك حقوق الإنسان (عقيل، ٢٠١١، ص ص٧٠_٧٣)

الفرع الثالث: مستقبل توظيف فكرة الفوضى الخلاقة في الإستراتيجية الأمريكية الشاملة

قيّم خبراء الإستراتيجية الأمريكية من مفكرين وأكاديميين وصناع قرار ومختصين، تكتيك الفوضى الخلاقة حين طبق على العراق بعد احتلاله، وقد وجدوا بأن تطبيق الفوضى الخلاقة في العراق قد حققت أهدافها إلى حد واضح، بعد أن تحققت أهم الأهداف الإستراتيجية للولايات المتحدة في العراق وأدخلته في دوامة صراع واحتقان طائفي وعرقي وهيأت فرص تقسيمه أو على اقل تقدير إضعاف وحدته على المدى المتوسط. وتطمح الإدارة الأمريكية باختبار هذا التكتيك ونقل تجربة العراق وإعادة توظيفها من جديد على مستوى الشرق الأوسط **(Compana, 2012, p.p. 29-30)**، وذلك بسبب توفر عوامل تطبيق هذا التكتيك في كثير من دول المنطقة سواء من ناحية التعددية المذهبية أو القومية أو الدينية أو وجود خلافات ومشاكل بعضها كامن وبعضها ظاهر وفعّال ولكن لا يصل لدرجة الاقتتال والدخول في مواجهات مباشرة تهدد وحدة الدول وتفكيكها وتجزئتها إلى مقاطعات قومية وعرقية ومذهبية (مقبل، ٢٠١١، ص ١٧٦)

١. احتمال استمرار توظيف الفوضى الخلاقة على المستوى الإقليمي

يجمع الكثير من المختصين والمعنيين والمراقبين لمنطقة الشرق الأوسط حول قضية صعوبة تنبؤ بالإحداث واستشرافها فيما يتعلق بهذه المنطقة، فقد تلونت وتقلبت الأحداث وتغيرت صور التفاعل الإقليمية والدولية في هذه المنطقة في غضون أقل من شهر واحد لاسيما بعد موجات التغيير بدء من عام ٢٠١١، وقدر تعلق الأمر بمستقبل منطقة الشرق الأوسط في ظل احتمالات استمرار توظيف الفوضى الخلاقة، يستشرف معظم الباحثين أن انتهاء بعض الأنظمة السلطوية والقمعية وسقوطها يمهد لقيام نظم حكم إسلامية تقوم على أسس التبادل السلمي

للسلطة، وإن السبيل الوحيد للوصول للحكم هو آليات العمل السلمي المدني والتنظيم الحزبي السياسي الديمقراطي، وهذه الطريقة في الحكم تريح الولايات المتحدة الى حد ما، بعد مرحلة عصبية مرت على الإدارة الأمريكية في حربها العالمية ضد الإرهاب (الإسلامي المتطرف من وجهة نظر أمريكية) (يان، ٢٠١٢، نت).

٢. احتمال استمرار توظيف الفوضى الخلاقة على المستوى الجيواستراتيجي العالمي

تروج الولايات المتحدة الأمريكية إلى فكرة مفادها أن العالم سوف يشهد نوعاً من أنواع الفوضى العارمة إذا ما انسحبت الولايات المتحدة الأمريكية بشكل مفاجئ من أداء دورها في القيادة العالمية لاسيما أنها لمراحل طويلة كانت لوحدها تمثل الشرطي العالمي الى أن وصلت مرحلة لم تعد قادرة على احتواء التحديات العالمية الكبرى، فأشركت بعض حلفائها ومنافسيها (بصفة طوعية منها أوروبا وبصفة إلزامية ومنها الصين) في إدارة الشؤون الدولية، وعلى ذلك تكمن تفاصيل استمرار توظيف الفوضى الخلاقة على النطاق العالمي في أن الولايات المتحدة تدعى بأنها الدولة الحاملة لميزان القوى الاستراتيجي العالمي وان جميع اللاعبين الدوليين ينضوون تحت القيادة الأمريكية، وإذا ما حدث خلل في ذلك فإن البيئة الإستراتيجية العالمية ستؤول إلى نوع من الفوضى التي سوف تشهد بعد ذلك انتشاق نظام دولي جديد يختلف في طبيعة تحالفاته وتعاملاته ما بين الدول العظمى والكبرى والمتوسطة والصغرى (**Morse, 2012, P.247**).

الخاتمة والاستنتاجات والتوصيات

الخاتمة:

تبعاً لما ذكر سابقاً في متن هذا البحث وما احتوته من مفاهيم ومصطلحات ذات صلة بالفوضى والفوضى الخلاقة وتوظيفها في الإستراتيجية الأمريكية، وكل ما تبع ذلك من تطبيق لهذه الفكرة في العراق أولاً من ثم الشرق الأوسط ثانياً، وصولاً الى احتمالات

توظيفها دولياً، فإن تحليل هذه الظاهرة الإستراتيجية وتوظيفها كان من الأولويات التي حاول الباحث أن يعرضها في سياق البحث بوساطة تقسيمه إلى مطالب والتي تطرقت إلى عرض مفهوم الفوضى، والفوضى الخلاقة.

الاستنتاجات:

بناءً على ما تقدم توصل الباحث إلى مجموعة استنتاجات تخص توظيف فكرة الفوضى الخلاقة في منطقة الشرق الأوسط وما مثلتها هذه الفكرة من مكانة مهمة للغاية في الفكر الاستراتيجي الأمريكي وهي :

١- إن مصطلح الفوضى الخلاقة أنشئ أساساً لكي يتعامل مع منطقة الشرق الأوسط، فقد تم صياغة هذا المصطلح بعناية فائقة في دوائر التفكير الأمريكية الرسمية وغير الرسمية، واستناداً الى رؤى وطروحات وأفكار قديمة تم إعادة صياغتها وتوظيفها لكي تتلائم مع ما ترغب الولايات المتحدة الأمريكية تحقيقها من أهداف.

٢- تكوّنت فكرة الفوضى الخلاقة بالأساس في مجال العلوم الطبيعية من ثم تم تعميم هذه الفكرة وسحبها الى العلوم الاجتماعية، إذ أن الفكرة تتمحور حول نقطة مهمة وهي أن من يقدر علي صنع الفوضى ومن ثم إدارتها سيصل الى نوع جديد أو حالة جديدة ترضي طموحاته التي كان يرغب بتحقيقها، أي تكون هنا الفوضى من النوع الخلاق، تنتج نظاماً جديداً يتوافق مع رؤى وتطلعات الفئة المكونة والمديرة لهذه الفوضى.

٣- إن لأحداث ١١ أيلول ٢٠٠١، اثر بشكل كبير في تبني الإدارة الأمريكية أفكار جديدة وتكتيكات تسمح بالتكيف مع وضعية الحرب العالمية التي شنتها الولايات المتحدة الأمريكية على الإرهاب وهذا الأمر يمكن استنتاجه عبر ملاحظة تأثير تيار المحافظين الجدد والتيارات الأخرى ومنها المسيحية

الأصولية المعاصرة، والصهيونية المسيحية التي باتت بصماتها واضحة المعالم لاسيما في سياسية الولايات المتحدة الخارجية تجاه العالم، وما تبنتها الإدارة الأمريكية من رؤى وأفكار لهذه الفئات التي ترجمت بعضها الى حروب واحتلالات عسكرية في مختلف مناطق العالم.

٤- أن فكرة الحرب على الإرهاب دفعت الإدارة الأمريكية بكامل مؤسساتها الى إجراء مراجعات شاملة لجميع المقومات الإستراتيجية للولايات المتحدة، ومن ثم أدت هذه المراجعات الى تبني تكتيكات وأساليب جديدة للتعامل مع الخطر الجديد وهو الإرهاب الإسلامي المتطرف، لذلك فإن تكتيك الفوضى الخلاقة كان أحد أهم أهدافه الرئيسة هو ضرب الطوائف الإسلامية مع بعضها البعض (أي تمزيق الإسلام من الداخل) ومن ثم ضرب الإسلام بالمسيحية والقوميات الأخرى لكي تحقق الولايات المتحدة الأمريكية نقطة مهمة وهي عملية المشاغلة وخلق الأزمات الداخلية لإدامة هيمنتها على المنطقة.

٥- إن بروز تكتيك الفوضى الخلاقة بوصفه أحد أهم حقول تطبيق نمط التفكير الإستراتيجي في ضبط الصراعات والتحكم بها يعزى الى تلبية للحاجة الإستراتيجية والعمل الهادف والمدروس المنضبط في إطار بيئة إستراتيجية معقدة وسريعة التفاعل، وأيضاً اثر عجز عسكري أمريكي لمسك الأرض والحفاظ عليها لاسيّما في المناطق المحتلة الساخنة، ومنها العراق وأفغانستان.

٦- استعملت الإدارة الأمريكية في تعاملها مع دول الشرق الأوسط مختلف الآليات والأساليب، فعلى سبيل المثال يعد العراق مثالاً واضحاً على التغيير بالقوة الصلبة ، وتمثل مصر مثالاً واضحاً أيضاً على التغيير بالقوة الناعمة، أما ليبيا فهي المثال على المزج ما بين القوة الصلبة والقوة الناعمة في التغيير، ليخرج مصطلح جديد (هجين) يسمى التغيير بالقوة الذكية.

٧- يرجح الباحث استمرار توظيف فكرة الفوضى الخلاقة في مستواها الإقليمي بالدرجة الأساس، وإن نجاحها على هذا المستوى هو بدوره سيرسم الآلية التي سيتم فيها توظيف هذه الفكرة في دول وأقاليم أخرى، إذ إن الباحث هنا يستشرف استمرارية توظيف هذه الفكرة لدى الإدارة الأمريكية مع الاحتفاظ بخصوصية كل ظرف يتم فيه تطبيق هذه الفكرة، ومع الأخذ بنظر الاعتبار المتغيرات والعوامل المؤثرة إقليمياً ودولياً.

التوصيات:

١. من أبرز التطورات التي مر بها الفكر الاستراتيجي الأمريكي، نجد أن هناك درجة كبيرة من الاستمرارية والحفاظ على الخطوط العامة لتوجهات الفكر الاستراتيجي الأمريكي، ولعل الهيمنة والتفوق الأمريكي الدائم كانت هي العقيدة الثابتة للولايات المتحدة، لذلك يتطلب من المسؤولين في الأمن القومي العراقي التخلي عن عقلية التخطيط، وتبني عقلية أكثر ملائمة مع التفكير الاستراتيجي، وذلك لخلق تأثيرات استراتيجية مفضلة لدعم المصالح الوطنية العراقية.

٢. ينبغي لدول الشرق الأوسط عدم الاكتفاء بالتعامل مع السياسات الجديدة للولايات المتحدة الأمريكية، بل يجب أن تكون لديها استراتيجية جديدة في علاقاتها مع الولايات المتحدة الأمريكية، وذلك دعماً للمصالح الوطنية وأمنها القومي.

٣. بوساطة التركيز في قراءة المدرك الاستراتيجي الأمريكي بعد عام ٢٠٠٣، يتبين أن هناك استراتيجية طويلة الأمد ولا ترتبط برئيس أو إدارة واحدة، لذلك يجب أن يكون اتفاق ميداني لدول الشرق الأوسط بإنشاء خارطة طريق محاربة داعش ووقف التدخل الأمريكي في شؤون المنطقة بوصفها مداخل أساسية لبناء هيكل أمن إقليمي جديد من شأنه أن يعيد الاستقرار للمنطقة ويوقف الصراعات المشتعلة.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية

١- أبو غزالة، ط.، وياسين، س. وآخرون. (٢٠٠٤). *النظام العربي والعولمة*. ط١. عمان: مؤسسة عبد الحميد شومان.

٢- أبو ليلة، س. م. (د. ت). دور القوة: ديناميكات الانتقال من الصلبة الى الناعمة الى الافتراضية. نقلاً عن: موقع *مجلة السياسة الدولية*. متاح على الرابط: http://www.siyassa.org.eg/NewsContentU.aspx

٣- أحمد، أ. ي.، وعبد الفضيل م. وآخرون. (٢٠٠٦). *متطلبات الإصلاح في العالم العربي، مراجعة طاهر حمدي كنعان*. ط١. عمان: مؤسسة عبد الحميد شومان .

٤- احمد، ك. م. (١٩٧٨). *أضواء على قضايا دولية في الشرق الأوسط*. ط١. بغداد: منشورات وزارة الثقافة العراقية.

٥- أحمد، ن. س. ومحمد م. وآخرون. (٢٠٠٨). *المعجم الوسيط*. ط١. بيروت: دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع.

٦- ارنوف، أ. (٢٠٠٦). *العراق منطق الانسحاب*. ط١. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر .

٧- إسماعيل، و. م. (٢٠١١). الفوضى البناءة وأثرها على المعادلة الأمنية الخليجية. *المجلة السياسية الدولية، الجامعة المستنصرية، (٨)* ١٦ .

٨- إسماعيل، و. م. (٢٠١١). *رقعة الشطرنج الشرق أوسطية*. ط١. بغداد: دار الرواد المزدهرة .

٩- الأوندي، سعيد. (٢٠٠٥). *الشرق الأوسط الكبير: مؤامرة أمريكية ضد العرب*. ط١. القاهرة: شركة النهضة للطباعة والنشر والتوزيع .

١٠- بيرلو، م. وليسكيه، ج. (١٩٨٦). *تاريخ الأفكار السياسية*. ط١. بيروت: الأهلية للطباعة .

١١- التقرير الصادر من معهد ستوكهولم الدولي لأبحاث السلام .(SIPRI) (2011).متاح على شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) على الرابط: http://www.sipri.org/yearbook.

١٢- توشار، ج. (١٩٨٣). *تاريخ الفكر السياسي*. ترجمة: علي مقلد. ط١. القاهرة: الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع.

١٣- جلال، ش. (٢٠٠٥). *الحضارة المصرية صراع الأسطورة والتاريخ*. ط ١. القاهرة: منشورات كتب عربية.

١٤- الجوهري، إ. م. (٢٠٠٨). *معجم الصحاح - قاموس عربي – عربي*. ط٣. بيروت: دار المعرفة .

١٥- موسوعة الجزيرة. (٢٠١٦). *حرب الخليج الثانية: الزلزال الذي عصف بمنطقة الخليج*. مقال منشور. متوفر على الرابط: https://www.aljazeera.net/encyclopedia.

١٦- حيدر، م. (٢٠٠٥). الفلسفة السياسية للمحافظين الجدد: إيديولوجية الفوضى الخلاقة. *مجلة الدفاع الوطني اللبنانية*، (٣١٨). http://www.lebarmy.gov.lb/article.asp?In=ar&id=8293

١٧- رشدي، ش. وإسماعيل، إ. (٢٠١٢). الواقع الافتراضي: الانعكاسات السياسية والاقتصادية لتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات. *مجلة السياسة الدولية*. *٤٧* (١٨٧)، ٩٢-٩٥.

١٨- سعيد، م. س (٢٠٠٦). *مستقبل النظام العربي بعد أزمة الخليج*. ط١. القاهرة: منشورات كتب عربية.

١٩- سفياني، ع. (٢٠١٠). *البعد الأمني للعولمة*. ط١. القاهرة: مكتبة مدبولي .

٢٠- السلوم، ي. إ. (٢٠٠١). *معجم المصطلحات العسكرية*. ط١. الرياض: مكتبة العبيكان .

٢١- شايق، ع. (٢٠٠٩). *الشرق الأوسط مصطلح قديم بأطماع حديثة*. ط١. بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون.

٢٢- صالح، م. (٢٠٠٥). *حوارات في قضايا عربية معاصرة*. ط١. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع .

٢٣- عبد الغني، م. (٢٠٠٧). *أوراق السنين زيارة الى القرن العشرين*. ط١. القاهرة: دار النشر الإلكترونية.

٢٤- عقيل، ز. (٢٠١١). عسكرة الانتفاضة الفشل الداخلي والتدخل الخارجي في الجماهيرية الليبية. *مجلة السياسة الدولية*. ٤٦(١٨٤).(

٢٥- الغثبر، خ. س.، والقحطاني، م. ع. (٢٠٠٩). *امن المعلومات بلغة ميسرة*. ط١. الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية.

٢٦- غليون، ب.، وعبد الحي و. وآخرون. (٢٠٠٥). *المتغيرات الدولية والأدوار الإقليمية الجديدة*. تحرير: علي محافظة. ط١. عمان: مؤسسة عبد الحميد شومان.

٢٧- غيرفيش، م. واوكالاهان، ت. (٢٠٠٨). *المفاهيم الأساسية في العلاقات الدولية*. دبي: مركز الخليج للأبحاث.

٢٨- فؤاد، ن.، وسالم، ي. (د. ت). الحلم (الإسرائيلي) في تحقيق منطقة شرق أوسطية خالية من أسلحة الدمار الشامل. ط١. بيروت: مؤسسة عبد الحميد شومان .

٢٩- فوزان، ع. (٢٠٠٧). الأدوار السياسية للمؤسسة العسكرية في دول عالم الثالث. ط ١. الرياض: مكتبة العبيكان .

٣٠- كندي، ع. (٢٠٠٨). *تغطية الصحافة العربية للحروب*. ط١. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات للنشر .

٣١- كيالي، م. (١٩٩٨). المشروع الشرق أوسطي: أبعاده، مرتكزاته، تناقضاته: سلسلة دراسات استراتيجية. *أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ٧* (١٣<)

٣٢- كيالي، م. (٢٠٠٤). مشاريع الإصلاح في المنطقة: تنافسات خارجية وتجاذبات إقليمية، *مجلة شؤون عربية، ٥٢* (١١٩).

٣٣- كيالي، م. (٢٠٠٧). مشروع الشرق الأوسط الكبير: دلالاته وإشكالياته. ط١. *أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ١١* (١٢٢).

٣٤- مرعي، أ. ح. (٢٠١١). *خفايا وأسرار الماسونية: طقوس – شفرات – دسائس*. الطبعة الأولى. القاهرة: دار الكتاب العربي.

٣٥- مقبل، ر. (٢٠١١). مؤتمر نحو نظام عربي جديد. *مجلة السياسة الدولية، ٤٦* (١٨٥).

٣٦- منظمة اليونسكو. (١٩٩٣). منشورات اليونسكو، تاريخ أفريقيا العام أفريقيا منذ العام ١٩٣٥. نيويورك: *منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة*، ٣٠٨ (٨).

٣٧- ناي، ج. س. (٢٠٠٧). *القوة الناعمة وسيلة للنجاح في السياسة الدولية*. ط١. تعريب: محمد توفيق البجيرمي. تقديم: عبد العزيز عبد الرحمن الثنيان. الرياض: مكتبة العبيكان .

٣٨- النبوي، خ. (٢٠٠٤). *صراعات وخفايا في العالم العربي*. ط١. القاهرة: مكتبة مدبولي .

٣٩- نبي، م. (٢٠٠٢). *مشكلات الحضارة مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي*. ط١. بيروت: دار الفكر المعاصر.

٤٠- وهيب، ح. ح. (٢٠٠٨). مستقبل العلاقات العراقية – الأمريكية في ظل الإستراتيجية الأمريكية الراهنة. *مجلة دراسات دول*ية. جامعة بغداد: مركز الدراسات الدولية. كلية العلوم السياسية، ١٣٣ (٣٦).

٤١- يان، س. ل. (٢٠١٢). نقلاً عن: Understanding the Resilience Monarchy During the Arab Spring. *مجلة الفورن بلسي*. http://www.fpri.org/enotes/2012/201204.yom.monarchy-arab-spring.html

ثانياً: المصادر الأجنبية

42- Compana, J. (2012). The Pain of Reformation: Spenser Vulnerability and the Ethics of Masculinity, first edition. U.S.A: Fordham University Press.

43- Dalacoura, K. (2011). *Islamism Terrorism and Democracy in the Middle East,* first edition. U.S.A: cabbage university press.

44- James, G. (1987). *Chaos*. New York: Penguin Books.

45- Kollmch, M. W. & Fcson, J. N. (2012). *Arab Spring and its Impact on Arms,* first edition. U.S.A: Institute of Isoda.

46- Korany, B. (2010). *The Changing Middle East: A New Look at Reginal Dynamics,* first edition. Cairo: American University in Cairo.

47- Media, A. (2001). *Treaties Between the U.S. and China,* first edition, U.S.A: Elibron.

48- Morse, J. C. (2012). *Scholastic Book of World Record 2012,* first edition. U.S.A: scholastic Inc.

49- Nye, J. S. (2011). *The Future of Power*, first edition. U.S.A: public affairs.

50- Rabinovich, L. & Reinharz, J. (2008). Israel in the Middle East: Document and Ridings on Society, Politics and Foreign Relations Pre-1948 to the Present, second edition. U.S.A: Bardies University Press.

51- Ward, C. (2011). *Anarchy is Order,* first edition. U.S.A: Institute of Washington DC to print and publishing.

52- Yaphe, J. S. (2002). T*he Middle East in 2015*, *the impact of regional trends on U. strategic planning,* first edition. U.S.A: National defense university press.